

التداعيات الجيوسياسية والاقتصادية لفيروس كورونا على منطقة الإندو باسفيك

The geopolitical and economic repercussions of the Coronavirus on the Endo Pacific region

رامى عاشور

جهة بحثية حكومية

محمد الجندي

معهد الدراسات السياسية ، باريس

المستخلص

ظل مصطلح آسيا والمحيط الهادئ معبرًا عن الوضع الجيوسياسى فى آسيا على مدار السبعين عامًا الماضية ، لكن التحولات الجيوسياسية التى تمثلت فى (نهوض الصين- صعود النفوذ الاقتصادى والاستراتيجى للهند- تزايد أهمية المحيط الهندى كممر تجارى استراتيجى)، أدت إلى ظهور مصطلح (إندو باسفيك) للتعبير عن هذا الواقع الجديد.

تمثل منطقة (الإندو باسفيك) أهمية قصوى لكل من الصين والولايات المتحدة الأمريكية، فالصين تهدف إلى الهيمنة الإقليمية لتعزيز أمنها وخروجها للهيمنة العالمية وهذا يتطلب منها الهيمنة على منطقة (الإندو باسفيك) فى حين تسعى الولايات المتحدة لاحتواء قوة الصين والبقاء فى القيادة العالمية و هذا يتطلب منها بسط هيمنتها على منطقة (الإندوباسفيك) ، فهل تمثل تلك المنطقة "فخًا للحرب العالمية الثالثة " ؟ خاصة مع انتشار فيروس (كورونا) كحافزًا لنظام عالمى جديد يتمحور حول منطقة (الإندو باسفيك) -

الذى أصبح المركز العصبى الجيوسياسى والاقتصادى الجديد ، حيث تسبب فيروس كورونا فى تحولات استراتيجية رئيسية ، أعطت أهمية كبيرة لمنطقة (الإندوباسفيك) ، وعكست ضعف كل منهما، كما سلطت الأزمة الضوء على نقاط ضعفهم وأثبتت عجزهم فى لعب دور قيادى فى لحظة تاريخية فارقة، كما تسببت أزمة فيروس (كورونا) فى تشكيل وضعًا قد يغيرى القادة الصينيين بالاستيلاء على تايوان وغزوها ، الأمر الذى قد يؤجج صراعًا عسكريًا، له تأثير سلبى على القانون الدولى ، فضلاً عن إحياء التوترات بين الولايات المتحدة والصين ، فقد نتسبب أزمة (كورونا) فى إعادة تشكيل الجغرافيا السياسية لمنطقة المحيط الهادئ الهندى، الأمر الذى يستدعى البحث فى مستقبل استقرار (الإندوباسفيك) وتداعياته.

Abstract

The term Asia and the Pacific has been an expression of the geopolitical situation in Asia over the past seventy years, but the geopolitical transformations that were represented in (the rise of China - the rise of the economic and strategic influence of India - the increasing importance of the Indian Ocean as a strategic trade corridor) led to the emergence of the term (Indo Pacific). To express this new reality.

The (Indo Pacific) region is of utmost importance to both China and the United States of America. China aims at regional hegemony to enhance its security and exit from global hegemony and this requires it to dominate the (Indo Pacific) region while the United States seeks to contain the power of China and remain in the global leadership, and this requires Including extending its hegemony over the (Indo-Pacific) region. Is that region a "World War III trap"? Especially with the spread of the Coronavirus as a catalyst for a new world order centered around the (Indo-Pacific) region - which has become the new geopolitical and economic nerve center, as the Corona virus caused major strategic shifts, which gave great importance to the (Endo Pacific) region, and reflected the weakness of each, as well as The crisis shed light on their weaknesses and proved their inability to play a leadership role at a defining historical moment. The Corona virus crisis also caused the formation of a situation that might tempt Chinese leaders to seize and invade Taiwan, which could fuel a military conflict, which has a negative impact on international law, In addition to reviving tensions between the United States and China, the (Corona) crisis may reshape the geopolitics of the Indian Pacific region,

which calls for research into the future stability of the (Indo-Pacific) and its repercussions.

مقدمة

تعكس منطقة (الإندوباسفيك) مستقبل النظام السياسى العالمى ؛ بما تمتلك من أهميته استراتيجية؛ واحتضانها لسبعة من أكبر عشرة جيوش فى العالم، فضلاً عن مرور حوالى ثلث الشحن البحرى العالمى منها فقط عبر بحر الصين الجنوبى ، بالإضافة إلى احتضانها بؤر محتملة للصراع المسلح مثل (كوريا الشمالية - تايوان) بالإضافة إلى النزاعات الإقليمية والبحرية فى بحر الصين الشرقى وبحر الصين الجنوبى .

من جهة أخرى ، تمثل منطقة (الإندو-باسيفيك) مركز الجاذبية للنمو الاقتصادى فى العالم حيث تضم أكبر ثلاث اقتصادات ، (الولايات المتحدة الأمريكية - الصين - اليابان) ، هذا فى الوقت الذى تسببت فيه أزمة (كورونا) فى تشكيل وضعاً عالمياً قد يُغرى القادة الصينيين بالاستيلاء على تايوان وغزوها ، الأمر الذى قد يُوّجج صراعاً عسكرياً، له تأثير سلبي على النزاعات الإقليمية والقانون الدولى ، فضلاً عن التوترات الأخيرة فى بحر الصين الجنوبى و إحياء التوترات بين الولايات المتحدة والصين، الأمر الذى تسبب فى إعداد تلك الدراسة للإجابة على التساؤلات التالية:

- ١- كيف نشأ مفهوم (الإندوباسفيك) وماذا يدل ؟.
- ٢- ما هى توجهات الولايات المتحدة الأمريكية لمنطقة (الإندوباسفيك)، ووضع الصين من تلك التوجهات ؟.
- ٣- ما هى توجهات الصين لمنطقة (الإندوباسفيك) ووضع الولايات المتحدة الأمريكية من تلك التوجهات ؟.
- ٤- كيف أثر انتشار فيروس (كورونا) على استراتيجية كل من (الولايات المتحدة الأمريكية - الصين) وعلى سياسات الدول الأعضاء فى المنطقة ؟.

بناءً على ماسبق ، نتناول تلك الدراسة منطقة (الإندوباسفيك) من الأبعاد التالية:

- ١- نشأة مصطلح (الإندو باسفيك) .
- ٢- فرص إعادة تشكيل الجغرافيا السياسية لمنطقة (الإندو - باسيفيك) فى ظل أزمة فيروس

(كورونا)

- ٣- مستقبل الإندوباسفيك فى ضوء الصراع الصينى- الأمريكى.
- ٤- تأثير فيروس (كورونا) على مستقبل نفوذ الغرب ومؤشر (القوة الناعمة)
- ٥- تداعيات انتشار فيروس كورونا على مستقبل الشعوب فى العالم.
- ٦- نتائج الدراسة.

أولاً : نشأة مصطلح (الإندو باسفيك)

هناك طرقتاً تقليدية لرسم خرائط العالم تتمثل فى الحدود سواء الجغرافية أو السياسية ، غير أن هناك طريقة غير تقليدية تتمثل فى الخرائط الذهنية ، وهى طريقة غير موجودة فى الواقع ، انطلاقاً من هذا ، يُمثل " الإندو-باسفيك " إحدى هذه الخرائط الذهنية التى اكتسبت أهمية كبيرة فى الفترة الأخيرة فى الدراسات الدولية فقط (١)

أ - مفهوم (آسيا- باسفيك)

أدى تزايد النمو الاقتصادى للصين و بعض دول شرق آسيا فى أواخر القرن العشرين إلى تغير الجغرافيا الاقتصادية لدول شرق وجنوب شرق آسيا مما أدى لظهور مفهوم "آسيا-باسفيك " الذى ظل مُهيمن - على مدى ما يقرب من سبعين عاماً - على النظام السائد فى آسيا وغالباً ما كان يشار إليه باسم "السلام الأمريكى" وقامت الولايات المتحدة الأمريكية بدور محورى فيه، ويشمل مصطلح "آسيا-باسفيك -Asia Pacific" معظم دول كل من (شرق وجنوب آسيا - اوقيانوسيا) ، وفى بعض الحالات ، يُستخدم مصطلح "آسيا-الباسفيك " Asia- Pacific ، لوصف البلدان الواقعة فى الأمريكتين ، التى تقع على طول ساحل شرق المحيط الهادئ(٢) .

ب - مفهوم (الإندو-باسفيك)

على الرغم من أن جميع الجهات الدولية الفاعلة تشير إلى المحيطين الهندى والهادئ ، إلا أنه لا يوجد - حتى الآن - اتفاق مشترك لما يُقصد به بالضبط من مفهوم (الإندو باسفيك) ، ونتيجة لذلك ، تحتوى المفاهيم المختلفة لمنطقة (الإندو باسفيك) على العديد من التفسيرات المختلفة(٣)، فتعبير

- "Indo-Pacific الإندو-باسفيك " يعكس اختصاراً لعبارة "تجمع المحيط الهندى مع المحيط الهادئ"

Indo-Pacific' – shortened from 'Indian Ocean-Pacific Ocean combine.

ويكشف التنافس السياسى حول التعريف الجغرافى لمصطلح "الإندو-باسيفيك" عن أهميته الاستراتيجية؛ حيث تضم منطقة "الإندو-باسيفيك" كل من (الصين " الدولة الأكثر اكتظاظًا بالسكان فى العالم" - الهند "ثانى أكثر دولة اكتظاظًا بالسكان عالمياً" - إندونيسيا "الدولة ذات الأغلبية المسلمة")، كما تضم منطقة "الإندو-باسيفيك"، سبعة من أكبر عشرة جيوش قائمة فى العالم، ويمر حوالى ثلث الشحن البحرى العالمى عبر بحر الصين الجنوبى فقط، بالإضافة إلى إحتضانها مناطق ملتهبة تمثل بؤر محتملة للصراع المسلح مثل (كوريا الشمالية - تايوان) بالإضافة إلى النزاعات الإقليمية والبحرية فى بحر الصين الشرقى وبحر الصين الجنوبى.

من جهة أخرى ، تمثل منطقة "الإندو-باسيفيك" مركز الجاذبية للنمو الاقتصادى فى العالم حيث تضم أكبر ثلاث اقتصادات ، (الولايات المتحدة الأمريكية - الصين - اليابان) (٤) " وهنا يجب التمييز بين ثلاثة مستويات فى فهم المصطلح ، كما يلى:

1- المستوى الأول ، وهو المفهوم الجغرافى الذى يعنى التقاء المحيط الهندى بالمحيط الهادئ و يمتد من شواطئ غرب أفريقيا إلى ساحل المحيط الهادئ للأمريكتين ومن مضيق (بيرنغ) إلى المياه المتجمدة فى المحيط المتجمد الجنوبى، و تعكس هذه الفكرة الجغرافية لمنطقة المحيط الهادئ و المحيط الهندى ازدياد حركة التجارة و التدفق البشرى بين كل من (جنوب آسيا - شرق آسيا) والذى أصبح مفهوم "آسيا-الباسيفيك Asia- Pacific" كافي للدلالة عليها.(٥)

2- المستوى الثانى ، وهو المفهوم الجيوسياسى والذى تم تناوله كما يلى:

أ - استخدامه للمرة الأولى من قبل رئيس الوزراء اليابانى (شنزو ابى) Shinzo Abe فى البرلمان الهندى فى أغسطس عام ٢٠٠٧ خلال حديثه عن "التقاء المحيط الهندى و المحيط الهادئ". (٦).

ب - قيام الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم مفهوم استراتيجى يسمى "الإندوباسيفيك حر و منفتح" باعتباره مفهومًا مضافًا لإعادة هيكلة المنطقة الذى تسعى إليه الصين، وتبلور فى مشروع (الحزام و الطريق)، وبالإضافة إلى ذلك، قدمت كل من (اليابان - أستراليا - الهند - تجمع الآسيان) * مفهومهم الخاص بشأن "الإندوباسيفيك". (٧)

ج - رغم أن الصين لاعب رئيسى فى منطقة "الإندو-باسيفيك" ، غير إنها مترددة فى تعريف نفسها كجزء من "الإندو-باسيفيك" حيث يعتقد القادة الصينيون أن استراتيجيته التى تقودها الولايات المتحدة الأمريكية تهدف إلى احتواء صعود الصين ، فحتى الوقت الحالى ، لم تستخدم الصين فى وثائقها الرسمية مصطلح "الإندو-باسيفيك" ، ولكن عمليًا ، امتدت طموحات الصين الاقتصادية والاستراتيجية عبر المحيط الهادئ

والمحيط الهندي، وبعبارة أخرى ، دخلت الصين سياسياً منطقة "الإنديو-باسيفيك" دون الاعتراف بها رسمياً (٨)

المستوى الثالث لفهم المصطلح يتضمن إضفاء الطابع المؤسسي على فكرة مصطلح " الإنديو-باسيفيك ، والذي يتضمن بناء المؤسسات الإقليمية وتكوين مفهوم إقليمي أوسع نطاقاً من مفهوم التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادئ (ابك)، وهذا البعد المؤسسي يمكن أن يُشير إما إلى نظام تحالف تقوده الولايات المتحدة الأمريكية أو منظمة إقليمية يمكنها إدارة الصراع وتعزيز التعاون ، وهما مفهومان مختلفان تماماً في طبيعتهما (٩)

على الرغم من اعتماد مصطلح " الإنديو-باسيفيك " في عدد متزايد من الدول ، إلا أنه لا يوجد مفهوم أو تصور موحد لحدوده الجغرافية، فأصبحت كل دولة تُحدد مفهومها الاستراتيجي لهذا المصطلح ، بما يتلائم مع كل من (موقعها الجغرافي - مصالحها الوطنية) ، وأصبحت النتيجة وجود مجموعة كبيرة من التصورات المختلفة للمصطلح نفسه ، الأمر الذي ترتب عليه تغيير المفهوم نفسه داخل كل دولة بما يتلائم مع معطياتها السياسية و الأمنية والاقتصادية (١٠)

و على الرغم من اشتراك كل من (أستراليا - الولايات المتحدة الأمريكية) في وجهة نظر جغرافية مماثلة فيما يخص "الإنديو-باسيفيك " أي "آسيا-الباسيفيك" بالإضافة إلى الهند، غير أن المفهوم الجغرافي بالنسبة لليابان والهند أوسع بكثير ؛ حيث يمتد ليشمل قارتي (آسيا - أفريقيا)، والمحيط الهادئ والمحيط الهندي، أما بالنسبة لتجمع (آسيان)، فلا يهيمه الحدود الملموسة للمنطقة طالما يحتفظ بالتجمع بمركزيته في الهيكل الإقليمي المستقبلي (١١)

ثانياً : فرص إعادة تشكيل الجغرافيا السياسية لمنطقة (الإنديو- باسيفيك) في ظل أزمة فيروس (كورونا)

ينظر الكثيرون إلى فيروس (كورونا) كمحفز لنظام عالمي جديد ، حيث تركز ذلك الفيروس في منطقة (الإنديوباسيفيك) والتي تعتبر المركز العصبى الجيوسياسى والاقتصادى الجيولوجى فى القرن الحادى والعشرين فى ظل تحديات أمنية غير مسبوقه، حيث تسبب فيروس (كورونا) فى تحولات استراتيجيه كبيره فى تلك المنطقه (١٢)

وقد إستعاد مصطلح "الإنديو-باسيفيك" أهميته أيضاً خلال الأزمة على ناحيتين ، كما يلي:

1-الناحية الأولى : توفير شبكة تعاون متعددة الأطراف ساعدة فى تنسيق ردود الأفعال وتبادل المعلومات ومحاربة انتشار فيروس كورونا.

الناحية الثانية : تقديم الكثير من النماذج الناجحة فى التعامل مع الفيروس مثل (كوريا الجنوبية - سنغافورة - تايوان - هونج كونج)، حيث كانت سياساتهم الوقائية مثالية فى تجنب حدوث سيناريو كارثى(١٣) من جهة أخرى ، لفتت أزمة (كورونا) نظر دول المنطقة حول مخاطر الانزلاق البطيء نحو الهيمنة الصينية، فى الوقت الذى تثير فيه الأزمة أيضًا أسئلة حول مدى قدرة القيادة الأمريكية وقوتها ، الأمر الذى يؤثر على تحول ميزان القوة نحو الشرق ، حيث أدارت آسيا الأزمة بصورة أكثر كفاءة من أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية، ومن الممكن أن تستفيد الصين من الأزمة ولو بصورة نسبية فقد تمكنت بكين من إعادة السيطرة على الوضع فى الوقت الذى أخطأت فيه الولايات المتحدة الأمريكية من حيث رد فعلها الأمر الذى أضعف صورتها أمام العالم كقوى كبرى .(١٤) بينما إذا أردت الولايات المتحدة الأمريكية تحسين صورتها عالمياً، فإنها تحتاج إجراء تغييرين رئيسيين كما يلى:

1- دعم الجهود الإقليمية لبناء تصور مستقبلى لمنطقة "الإنديو-باسيفيك" دون السعى لقيادتها.

2- تقديم بعض التنازلات إذا كانت ترغب فى إنتهاز الفرصة فى رغبة الدول فى تقليل الاعتماد على بكين وتعزيز التعاون بين الدول الحليفة . (١٥)

ثالثاً : مستقبل الإندوباسيفيك فى ضوء الصراع الصينى- الأمريكى

يمكن القول بأن تعامل الصين مع الأزمة، تم بصورة تفتقد الى الشفافية على المستوى العام ، حيث تم توجيه انتقادات من رؤساء الدول والوزراء البارزين مثل (رئيس فرنسا - رئيس وزراء بريطانيا - رئيس وزراء كندا) نحو القادة الصينيين، وكان أشدهم انتقاداً ، الرئيس الأمريكى (دونالد ترامب) (١٦) أما على المستوى الخاص ، فإن استطلاعات الرأى تُشير إلى تدهور الصورة العامة للصين دولياً ، فقد كان هذا واضحاً إلى حد ما فى أمريكا اللاتينية، خاصة فى كل من (البرازيل - الأرجنتين). (١٧). ومع نقص المعدات الطبية و الأقنعة فى مناطق مختلفة من العالم ، و انتشار الوباء إلى أوروبا والولايات المتحدة ، طورت الصين "دبلوماسية القناع" أو مايمكن إعتباره دبلوماسية صحية بالإضافة إلى خطاباً هادئاً ساعد على إعادة التوازن إلى التصور العام للتعامل مع الأزمات وكذلك التخفيف من بعض المخاوف ونبذ الكراهية التى وقعت الصين ضحية لها(١٨)

وبالتركيز على صورة القيادة الأمريكية عالمياً ، نجد أنها قد تددت خلال الربع الأخير من القرن المنصرم بين فضائح سياسية مثل فضيحة (بيل كلينتون) ، وقضايا أمنية مثل أحداث ١١ سبتمبر ، مما ألقى ظلال من الشكوك على كفاءة قيادة الولايات الأمريكية للعالم ، وما أزمة فيروس (كورونا) إلا إشكالية محورية فى نفس المنحنى. (١٩)؛ حيث تضرر الاقتصاد الأمريكى بشكل بالغ جداً من الفيروس؛ فزادت معدلات

البطالة الأمريكية، بالإضافة إلى تعرض الرئيس الأمريكي لانتقادات شديدة بسبب معالجته للأزمة التي تأرجحت من التوصية بوصفات طبية غير دقيقة إلى إلقاء اللوم على الصين بدلاً من التركيز على إدارة الأزمات.(٢٠)

أ - مسار التوتر في العلاقات الصينية- الأمريكية

في تجاوز للأعراف الدبلوماسية تبادلت (واشنطن - بكين) الإتهامات حول فيروس (كورونا) فقد إتهم (ترامب) الصين بالرد ببطء على اتهاماته المتعلقة بفيروس (كورونا) باعتباره وسيلة لإلحاق الضرر بفرض إعادة انتخابه و أن العالم سيدفع "ثمنًا باهظًا" نتيجة لذلك ووصف الوباء بأنه "أسوأ هجوم" شهدته الولايات المتحدة على الإطلاق فهو أسوأ من (بيرل هاربور) و (مركز التجارة العالمي)، و قدأ استفز (ترامب) الصين باستخدام مصطلح "الفيروس الصيني" الذي أزعج النظام الصيني بشدة، كما أنه هدد بقطع العلاقات مع الصين تمامًا، وأعلن (مايك بومبيو) ، وزير الخارجية الأمريكي ، أن الحزب الشيوعي الصيني هو التهديد الأول للأمن الأمريكي ، وفي المقابل اتهمت وزارة الخارجية الصينية وزير الخارجية الأمريكي (مايك بومبيو) بـ "الافتراء.(٢١) وصرح وزير الخارجية الصيني، (وانغ يي) أن بعض القوى السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية تدفع البلدين باتجاه حرب باردة جديدة وإتهم واشنطن بنشر "الأكاذيب ونظريات المؤامرة" ، وقال إنه بالإضافة إلى (فيروس كورونا)، هناك (فيروس سياسى) ينتشر في الولايات المتحدة.(٢٢) فيما تصور استراتيجية الأمن القومى الأمريكى أن الصين منافس استراتيجى لها(٢٣)

و فى الوقت نفسه ذكر تقرير داخلى يمثل رؤية المعاهد الصينية للعلاقات الدولية المعاصرة ، التابعة لوزارة أمن الدولة ، إن بكين قد تحتاج إلى الاستعداد لمواجهة مسلحة مع واشنطن ، وأكد التقرير أن واشنطن تسعى لإضعاف مكانة الحزب الشيوعى الحاكم من خلال تقويض ثقة الصينيين فيه ، وحذر التقرير من أن الاستثمارات الصينية فى الخارج ، وخاصة مبادرة (الحزام والطريق) الطموحة ، يمكن أن تقع ضحية تصاعد المشاعر المعادية للصين و من الملاحظ أن الرئيس (شى جين بينغ) أظهر اهتمامًا شخصيًا بمفهوم (فخ ثوقيدديس) ، الذى طرحه (أليسون) ، مشيرًا إليه فى ثلاث مناسبات على الأقل بما فى ذلك عشية مراسم أداء اليمين. (٢٤) و يرى (جافى) ، مؤلف كتاب (حول اندلاع الحرب: الشخصية والمنافسة)، أن السيناريو الأكثر احتمالاً للتصادم سيكون فى بحر الصين الجنوبى، وقال إن حادثة دولية قد تضع (ترامب وشى) فى مسار تصادمى ، حيث يواجه كل زعيم ضغطًا للوقوف فى مواجهة الآخر وليس التراجع ، نظرًا لعدم الثقة والخطاب الساخن بين الطرفين(٢٥)

ب- أثر التوتر الصينى الأمريكى على الانتخابات الأمريكية

من آثار تفشى فيروس كورونا أنه تم تسييس العلاقة مع الصين التي أصبحت قضية مركزية فى الحملة الانتخابية الأمريكية ؛ فمن أصبح أكثر صرامة تجاه الصين قد اتخذ معنى سياسياً أوسع نطاقاً، ليس فقط فيما يتعلق بالعلاقات التجارية، ولكن أيضاً حول منشأ الفيروس و إذا ما كانت الاستجابة الأمريكية كافية ، حيث يتبادل (ترامب - بايدن) الاتهامات بالتعامل بهوادة مع الصين ، فعلى الرغم من أن واشنطن لا تزال منقسمة بشأن معظم القضايا ، إلا أن هناك إجماع متزايد فى الحزبين الديمقراطى و الجمهورى على أن عصر التعامل مع الصين قد وصل إلى نهايته غير الرسمية". "الجدل الآن يدور حول ما يأتى بعد ذلك.(٢٦) ، وذلك فى الوقت الذى يرى فيه بعض المحللين أنه لن تتغير السياسة - أياً كان الرئيس القادم - لأن رغبة تحجيم الصين أصبحت تمثل هدفاً مشتركاً للحزبين الديمقراطى والجمهورى .(٢٧) ؛ حيث إن إعادة إنتخاب (ترامب) ستؤدى إلى توتر فى العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة والصين، مدفوعاً ذلك بغضب وطنى واسع الانتشار حول أصول الفيروس ، أما فى حالة فوز (بايدن) ، ستستمر المنافسة الاستراتيجية بطريقة أكثر منهجية ،مع وجود مساحة للتعاون فى مجالات محددة ، مثل (المناخ - الأوبئة - الاستقرار المالى العالمى) بشكل عام ، أما بكين فتفضل إعادة إنتخاب (ترامب) ، لأنها ترى قيمة فى ميله إلى كسر التحالفات التقليدية ، والإسحاب من القيادة المتعددة الأطراف وهو ما يضعف القوة الأمريكية، ويتيح فرصة أكبر لبكين للصعود وتعزيز قوتها ومكانتها فى النظام الدولى(٢٨)

حتى الآن ، يبدو أن الطبيعة المتطورة للعلاقة بين (الولايات المتحدة - الصين) تثبت بشكل جيد نظرية (أليسون)، مع الأخذ فى الاعتبار أن الاختلافات بين الطرفين أصبحت أكثر بروزاً بسبب الخطاب السياسى المحلى بعد أزمة (كورونا) حيث توجد العديد من بوئر التوتر بين الولايات المتحدة والصين نتيجة اختلاف المصالح بصورة كبيرة، مثل (كوريا الشمالية - تايوان - هونج كونج - بحر الصين الجنوبى - إيران)، فالوقت وحده هو الذى سيحدد ما إذا كانت الولايات المتحدة والصين ستتبعان خطى التاريخ نحو الحرب أو ستجدان طريقة لإدارة هذا التنافس دون إراقة الدماء.

خاصة وأن الولايات المتحدة الأمريكية نجحت فى تحديد شكل الحياة الاقتصادية والسياسية فى أوروبا من خلال خطة مارشال ولكنه يلاحظ بأن مشروع الصين الاستثمارى، "حزام واحد، طريق واحد" يساوى (١٢) خطة مارشال ، وذلك حسب رؤية (أليسون)، مع ذلك يرى الكاتب أن الحرب مع الصين قد لا تكون حتمية تماماً، بل يمكن تجنبها، ولكنه يشترط تغيير المسار السياسى الحالى، وإلا قامت حرب أدت إلى إنهاك قوة الطرفين ، حيث إن المبالغة فى إعطاء أهمية للذات والشعور بالعظمة، تمثل عوامل سريعة فى التمهيد لأجواء الحرب ، كما حدث فى حالات تاريخية سابقة مثل (الحرب البيلوبونيسية - الحرب العالمية

الأولى). لذلك ، من المرجح أن ستكون السياسة الأمريكية في (الإندوباسفيك) مدفوعة بسياساتها تجاه الصين ، بغض النظر عما إذا كانت بقيادة (دونالد ترامب) أو (جو بايدن) ؛ فالجمهوريون سيستمروا في تأطير التحدى الرئيسى على أنه "موازنة" ضد القوة الصينية و "مواجهة" أسوأ جوانب سياسات بكين ، أما الديموقراطيون سيختاروا لغة أكثر ليونة للبحث عن "تعایش تنافسى" ملائم فى مجالات الحكم العسكرى والاقتصادى والسياسى والعالمى ، وإعادة تأكيد القيادة الأمريكية والمكانة الأخلاقية، والتوجه نحو قرب التعاون مع كل من (اليابان - أستراليا - الهند - فيتنام) ، حيث يعتقد الديموقراطيون أن نهج "أمريكا أولاً" الأحادى مقلق للحلفاء والشركاء(٢٩)

من جهة أخرى ، تعكس خطابات الرئيس (ترامب) تجاه الصين، تراجع الولايات المتحدة الأمريكية عما كان يميز القيادة الأمريكية ، فبدلاً من التركيز على تعزيز انتشار وتجارة السلع التى تعزز التجارة الثنائية مع دول (الإندوباسفيك) ، تم التركيز على أهداف الصين الأحادية الجانب ، الأمر الذى أدى إلى تعقيد الجهود المبذولة من الولايات المتحدة الأمريكية ، لبناء أسس أقوى مع شركاء الولايات المتحدة المقربين فى المنطقة ، مما أسس مجالات احتكاك - غير ضرورية - فى علاقاتها مع الشركاء المقربين مثل (أستراليا - الآسيان)، وخطورة ذلك النهج أنه يؤدى إلى توسيع الفرص المتاحة أمام الصين لاستغلال الفجوات بين الولايات المتحدة وحلفائها وإضعاف شبكات الأمن الإقليمية للمضى قدماً فى تحقيق أهدافها(٣٠)

رابعاً : تأثير فيروس (كورونا) على مستقبل نفوذ الغرب ومؤشر (القوة الناعمة)

فى مقالة نشرتها مجلة الشؤون الخارجية فى ٦ مايو ٢٠٢٠ لـ (كيفين رود) رئيس الوزراء الأسترالى السابق ورئيس معهد سياسة مجتمع آسيا فى نيويورك، أشارت إلى أن هناك نظام عالمى جديد يتشكل ببطء ولكن بثبات عند الوباء ، ويتميز هذا النظام بشكل بارز بارتفاع الشعبوية والقومية ، وزيادة المنافسة بين (الولايات المتحدة الأمريكية - الصين) وضعف القيادة العالمية، حيث يعمل الوباء على تغيير القوة العالمية على ثلاثة مستويات كما يلى:

أ- التراجع السريع لصورة الولايات المتحدة الأمريكية بما له من تأثير سلبى على قوتها العالمية فى جميع المجالات.

ب - توتر علاقات الدول الأفريقية مع الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث إن الاضطراب الواسع النطاق لوفاة (جورج فلويد) أثار احتجاجات وغضباً واسعاً فى أفريقيا وأدى إلى توتر العلاقات الأمريكية الأفريقية بشكل عام (٣١)

ج - توتر العلاقات الأمريكية الصينية ، الأمر الذي يترتب عليه إعادة تشكيل لمستقبل القوة في عالم ما بعد كورونا ، حيث يرى (كيفين رود) بأن وباء فيروس (كورونا) التاجي يُبشر بالسوء لكل من القوة الأمريكية والصينية ، وكذلك للنظام العالمي(٣٢)

ويضيف الباحث أن هناك مستوى رابع يتمثل في تحول دفعة القوة نحو الشرق ، حيث كان أداء شرق آسيا أفضل في إدارة الوضع من أوروبا أو الولايات المتحدة.(٣٣) بينما يرى بعض المحللين الصينيين أن مقال (كيفين رود) يتجاهل استراتيجيات القوى المتنافسة، فقد قامت الصين وقيادتها الفكرية والتجارية بتوسيع نطاق دبلوماسية القوى الناعمة بشكل كبير باستخدام المساعدة الإنسانية خاصة للدول النامية الضعيفة لتعزيز وترويج شعار "بناء مجتمع من المستقبل المشترك للبشرية"(٣٤)

بينما يرى (فرانسيس فوكوياما) في مقاله في (فورين أفيرس) أن الوباء يمكن أن يؤدي - على مدى السنوات القادمة -، إلى التراجع النسبي للولايات المتحدة ولاستمرار تآكل النظام الدولي الليبرالي، وصعود القومية وعودة الفاشية مع تزايد المشاعر الوطنية الانعزالية، وكرهية الأجانب ، وهذا بدوره يؤدي إلى احتمالية إعادة ولادة و تنشيط الديمقراطية الليبرالية.(٣٥)

بينما ترى (كين رود) الباحثة في المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، أنه من غير المرجح أن يُمثل فيروس (كورونا) نهاية الجغرافيا السياسية خاصة في منطقة (الإندو-باسيفيك)، لكنه سيسرع من وتيرة صياغة الاتجاهات الجيوسياسية الحالية و بصفة خاصة التنافس بين (الولايات المتحدة- الصين) ، في حين أن هناك خلافات حول مدى كفاءة الصين في معالجة الأزمة ، في الوقت الذي كانت استجابة الولايات المتحدة فيه كارثية ، فقد قامت الصين بدور قيادي - بعد وقت قصير - من انتشار الفيروس خارج حدودها بينما تخلت الولايات المتحدة الأمريكية عن القيادة العالمية والإقليمية وهي تسعى جاهدة للتصدي للفيروس، و ترى الباحثة أنه من المرجح أن تؤدي أزمة كورونا إلى زيادة أهمية الدور الذي تلعبه القوى المتوسطة في الحفاظ على توازن القوى ، إلا أن العوامل الحاسمة التي تلعب دورها في الجغرافيا السياسية الإقليمية ستظل مستمرة بالفعل والمتمثلة في كل ممايلي:

أ - سلوك الصين في بحر الصين الجنوبي ومناطق أخرى.

ب - الثقة في الولايات المتحدة الأمريكية كحليف وشريك ، وقدرتها على تقديم نفسها باعتبارها لا تهدف إلى احتواء الصين بل دعم منطقة (الإندو باسيفيك) كمنطقة حرة ومفتوحة.

ج - قدرة الولايات المتحدة والقوى المتوسطة ، على تقديم بدائل أو حتى مكملة لمبادرة الحزام و الطريق(٣٦))

من جهة أخرى ، فإن أزمة (كورونا) أظهرت حاجة الولايات المتحدة إلى بناء سلاسل توريد قوية ومتنوعة مع شركاء تجاريين موثوق بهم، فالاعتماد بالبحث على الواردات الرخيصة للمنتجات الاستراتيجية يمكن أن يجعل الولايات المتحدة عرضة للخطر في أوقات الأزمات، ورغم هذا يجب ملاحظة أن أكثر من ٧٠٪ من الشركات التي تم استطلاع رأيها في مارس ٢٠٢٠ من قبل غرفة التجارة الأمريكية في الصين ، ليس لديها أي خطط لنقل عمليات الإنتاج وسلسلة التوريد أو الحصول على مصادر توريد من خارج الصين بسبب فيروس كورونا، ويمكن تفسير هذا بأن الكثير من الشركات الأمريكية في الصين ، يستهدف إنتاجها بالأساس السوق الصيني المحلي ، حيث تتمتع الصين بمزايا من المرجح أن تحافظ على مكانتها باعتبارها المصنع الرئيسي في العالم بما يضمن (سلاسل توريد ناضجة - سوق ضخمة - بنية تحتية جيدة البناء - عمالة ماهرة) (٣٧)

خامساً : تداعيات فيروس (كورونا) على واقع إشكالية الهوية في منطقة "الهندوآسفيك"

أ - واقع الهوية والقومية في " الهندوآسفيك"

تعد سياسة الهوية والقومية عاملاً محتملاً للنزاع في "الهندوآسفيك" بعد فيروس كورونا؛ حيث إن استقطاب القوميات في المنطقة ، بين "الإسلام" المتصاعد في إندونيسيا ، والإيديولوجيات القومية "المعادية للمسلمين" في كل من (الصين - الهند) ، سيكون مصدر احتكاك في منطقة "الهندوآسفيك" (٣٨)، حيث تعتبر إندونيسيا حالة ذات أهمية خاصة ؛ فهي أكبر اقتصاد في (جنوب شرق) آسيا ، وتضم أكبر عدد من السكان المسلمين من جميع دول العالم بحوالي (٢٠٧) ملايين شخص من إجمالي (٢٧١) مليون ، معظمهم يعتنقون المذهب السني ، ويمثل هذا العدد حوالي ١٣ ٪ من إجمالي عدد المسلمين في العالم ، وبالرغم من تمسك إندونيسيا بالمحافظة بمبادئ سياستها الخارجية المتمثلة في عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ، إلا إنها أكثر تفاعلاً مع القضايا الإنسانية - خاصة إن كانت ذات صلة بالمسلمين(٣٩).

ب - القومية الهندية والصينية: الشعبوية والخطاب المعادي للمسلمين

رغم أن مسلمي الهند لا يشكلوا سوى ١٤ ٪ من المجتمع، لكن تعدادهم وصل لـ (١٨٠) مليون نسمة، أي أقل بقليل من عدد سكان باكستان ، لكن من المتوقع أن يتجاوزوا عدد مسلمي إندونيسيا خلال عدة عقود ، وهذا ما يجعل الهند - في المستقبل - أكبر بلد مسلم في العالم من حيث عدد السكان.، هذا بالإضافة إلى أن اكتساح حزب بهاراتيا جاناتا (الحزب القومي الهندوسي) - وهو حزبٌ ينتمي لتيار اليمين الشعبوي بزعامة رئيس الوزراء (ناريندرا مودي) - في الانتخابات بنسبة ٦٣.٦ ٪ من أصوات الناخبين ، يُمثل نقطة

تحول فاصلة في تعزيز سيطرة التيار القومي على النظام السياسى الهنـدى، أما الصين، فقد تبنت العديد من السياسات لتقييد قدرة مسلمى (الأويغور) على ممارسة شعائرهم الدينية ، ولا سيما تقنين اعتقال مسلمى (الأويغور) فى معسكرات الاعتقال وإخضاعهم لمراقبة شديدة من الدولة على الرغم من أن هذه الحملة القمعية ضد مسلمى (الأويغور) بدأت فى عام ٢٠١٤ ، إلا أنها لفتت الانتباه العالمى فى ٢٠١٧ ، و تشير شهادات بعض الناجين إلى أن البيئة داخل تلك المخيمات غير الصحية تمامًا، الأمر الذى يندرج بأن تلك المخيمات من الممكن أن تكون بيئة لتجدد انتشار الوباء فى الصين مجددًا (٤٠)

سادسًا : نتائج الدراسة

مثل فيروس كورونا العوامل المحفزة لنشوب التوتر بين القوى المتعددة والواقعة فى منطقة الإندوباسفيك، الأمر الذى من شأنه تهديد مستقبل الإندوباسفيك بسبب تطلعات القوى الكبرى من ناحية ومحاولة تعويض خسائرها الناجمة عن انتشار الفيروس من ناحية أخرى ، غير إن الواقع يفرض نفسه فى التنبؤ بمستقبل تلك المنطقة ؛ فمستقبل (الإندو باسفيك) لن تستطيع الصين أو الولايات المتحدة الأمريكية (كل طرف بمفرده) أن يحدده ، بل يتم تحديده من معظم القوى الفاعلة والواقعة فى إطاره خاصة اليابان والهند وأستراليا والاتحاد الأوروبى ، حيث إن أولويات (الإندوباسفيك) ستتوقف على كل ممايلى:

١- المصلحة الوطنية التى يشكلها الجوار المباشر.

٢- إدراك التهديد لجميع الدول.

لذلك ، لا يكمن تحقيق التعاون الناجح بين دول المنطقة فى تقريب السياسات أو توحيدها، ولكن من خلال تقريب وجهات النظر والتنسيق خاصة فى الشراكات الإقليمية القائمة على القضايا المؤثرة بنموذج تقاسم الأعباء والمسؤوليات؛ فالمنطقة تحتاج إلى بناء هياكل مرنة لتسهيل التعاون فى المجالين الاقتصادى والسياسى، وهذا يتطلب مستوى غير مسبوق من الشراكة الاقتصادية الاستراتيجية والتنسيق بين الولايات المتحدة - الهند - اليابان وحلفائهم وشركائهم الإقليميين ، ولا سيما أعضاء الآسيان)، فربما يكون المطلوب أيضًا هو تأسيس مجموعة اقتصادية جديدة تعمل بالتوازي مع "منظمة الإندوباسفيك" ، بحيث تتواءم الجوانب الاقتصادية مع الجوانب العسكرية مما يدعم تنسيق التوجهات السياسية ؛ فقد تشكل الاتفاقية الشاملة والشراكة الاقتصادية الإقليمية الشاملة نماذج مقبولة لمستقبل الهيكل الاقتصادى لدول (الإندوباسفيك) الذى من شأنه أن يوحد جميع الأطراف لتعزيز التجارة وانتشار الاستثمار فى المنطقة تجنبًا لنشوب أى نزاعات فى المستقبل.